

مفهوم السلم ومظاهره

في شريعة الإسلام

مداخلة للأستاذ : نورالدين طوابة

أستاذ مساعد مكلف بالدروس بجامعة أدرار

مقدمة

لقد جاء الإسلام بالعدل وحرم الظلم على أتباعه ، وجعل من أهم تعاليمه وقيمه ومبادئه المودة والرحمة والتعاون والتضحية ، والتآخي بين الإنسان وأخيه الإنسان ، كل ذلك من باب تكريم واحترام العقل الإنساني وتقدير الفكر البشري لكونهما أهم وسائل التفاهم والإقناع بين البشر .

فلم يبعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - لإرغام أي أحد من الناس على عقيدة الإسلام رغم كونها العقيدة الحقّة ، بل كرس المبدأ الذي نادى به الإسلام وهو أنه (لا إكراه في الدين)¹ وذلك لكون أهم وسيلة في نشره ليست السيف والخنجر والعصا كما يدعي الكثير ممن تنصل من الموضوعية والدقة والأمانة العلمية من المستشرقين وأتباعهم من بني جلدتنا من المستغربين ، وإنما كانت أهم وسيلة في تبليغ تعاليمه للناس هي استعمال العقل والفكر والنظر فيما خلق الله في هذا العالم من أشياء قال تعالى مؤكدا هذا المبدأ : (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلّهم جميعا)² وقال أيضا : (قل انظروا ماذا في السماوات والأرض ، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)³ والرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يخرج عن هذه الوظيفة ؛ وظيفة التبليغ عن الله . عز وجل . والدعوة إليه فقد خاطبه سبحانه بقوله : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا)⁴ كل ذلك حتى يكون الإسلام سلاما في معناه

¹ - البقرة : 256 .

² - الأنعام : 99 .

³ - يونس : 101 .

⁴ - الأحزاب : 45 .

وسلاما في تبليغه وسلاما في الدعوة إليه وسلاما في تطبيقه بين المسلمين وغير المسلمين ذلك ما أحاول الإجابة عنه من خلال العناصر التالية لهذه المحاضرة .
أولا . السلم في اللغة والاصطلاح :

تعتبر كلمة السلم من أكثر الألفاظ تداولاً في اللغة العربية وأصل مادتها(س ل م) ولها العديد من الاشتقاقات اللغوية، منها السلم بالكسر بمعنى السلام والصلح وتسالّم القوم تصالحو ، والسلم هو المسالمة المصالحة ⁵ .
والسلام على القوم ؛ تحيتهم بلفظ السلام ، أما في الاصطلاح فالسلم خلاف الحرب والتسليم هو الصلح والأمان ⁶، كقولك : أنا سلم لمن سالمني وحرب لمن حاربنني .

وقد وردت كلمة السلم وما في معناها أكثر من مائة مرة في القرآن الكريم ، وهذا يدل على أن الإسلام الحنيف رغم أمره المسلمين بإعداد القوة الحربية والاستعداد لملاقاة العدو أنه يميل إلى السلم وخاصة إذا مال من يحاربهم إلى الصلح فلا بد عليهم حينئذ أن يرحبوا بالسلام لأنه رسالة دينهم حتى ولو كانوا قادرين على محاربة هذا العدو وهزيمته ⁷ .
ثانيا : مفهوم السلم في الإسلام

يعتبر السلم أو السلام من أهم المبادئ التي سعى الإسلام إلى تعميق جذورها بين المسلمين ، لتصبح جزءاً لا يتجزأ من كيانهم ومظهرها شاملاً من مظاهر عقيدتهم ، فقد أعلن الإسلام مبدأه السلمي منذ أن أشرقت شمسُه في القرن السادس الميلادي .

⁵ - انظر لسان اللسان ، تهذيب لسان العرب : ابن منظور الإفريقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1413هـ ، 1993م ، 1 / 619 . الصحاح : إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 3 ، 1404هـ ، 1984م ، 5 / 1952 . مجمل اللغة : لأحمد بن فارس ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 2 ، 1406هـ ، 1986م ، 1 / 469 .

⁶ - المعجم الوسيط : إبراهيم أنيس ، عطية الصوالحي ، عبد الحليم منتصر ، محمد خلف الله ، دار الفكر ، د ت ، 1/446 .

⁷ - القاموس الإسلامي : أحمد عطية الله ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط 1 ، 1390هـ ، 1970م ، 3 / 438،439 .

ولفظ الإسلام نفسه أصله مأخوذ من كلمة السلام التي هي الطمأنينة والسكينة وكذلك الإسلام لكونه دين السلام والأمن ، أضف إلى ذلك أن من أسماء رب العالمين " السلام " ، لأنه - سبحانه - هو الذي يؤمن الناس بما شرع لهم من مبادئ ومناهج وقيم على مستوى الفرد والمجتمع والدولة .

وحتى لفظ التحية بين المسلمين " السلام " صار بهذا المعنى من أكبر أهدافه تأليف القلوب وتقوية أواصر المحبة بينهم ، ولإشعار غير المسلمين بأن الإسلام دين الأمن والسلام ، بل لقد كان أقرب الناس وأحبهم إلى خالقهم في هذا الدين من بدأ أخاه بالسلام عند اللقاء .

وتحية الله للمؤمنين يوم لقائه تعالى . هي السلام ، حيث قال : (وتحيّتهم يوم يلقونه سلام) ⁸ .

وتحية الملائكة للمؤمنين في الآخرة هي سلام أيضا لقوله . تعالى : (والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب سلام عليكم) ⁹ ، ومستقر المؤمنين يوم القيامة في دار السلام والأمن كما صرح بذلك الخالق . جلّ وعلا . بقوله : (لهم دار السلام عند ربهم) ¹⁰ .

ولا حديث لأهل الجنة إلا بلغة السلام والأمان ، كما قال . سبحانه : (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما ، إلا قليلا سلاما سلاما) ¹¹ ، وروي عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . أنه قال : " يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام " ¹² وليس غريبا بعد هذا أن تكون رسالة النبي رحمة للعالمين من حيث الاعتقاد والتشريع وعق الرقاب من النار لأن الله . تعالى . قال : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ¹³ .

ثالثا : دعوة الإسلام إلى السلم

لم يقف الإسلام عند حد الإعجاب بمبدأ السلم والإشادة به ، بل دعا إليه وحث عليه وما ذلك إلا لكونه دين الحياة وجاء من أجل الأحياء ، ولأنه يكره قتل النفس

⁸ - الأحزاب : 44 .

⁹ - الرعد : 24 .

¹⁰ - الأنعام : 127 .

¹¹ - الواقعة : 26 .

¹² - قال الترمذي : حسن صحيح ، انظر الأذكار : الإمام النووي ، دار الفكر ، د ت ، ص 207 .

¹³ - الأنبياء : 107 .

وإزهاق الأرواح دون حجة ودليل فقد قرر بأنه يجب أن يكون السلم والأمان أساس العلاقة بين الأفراد والشعوب والأمم يستوي في هذه العلاقة المسلمون مع بعضهم ومع غيرهم من الأمم الأخرى إلا من أعلن الحرب وجاهر بالعداء والكراهية .

من أجل ذلك كانت طبيعة الإسلام أنها تجمع ولا تفرّق ، وتوحد ولا تشتت لأن الأصل أن " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً " ¹⁴ والمسلمون تتكافأ دماؤهم " ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر " ¹⁵ .

ورغم كون الإسلام قد شرّع قتال البغاة إذا هددوا رابطة المسلمين وأمنهم ، إلا أنه يقرر أن الصلح هو الخطوة الأولى على طريق الحل قال - تعالى - : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) ¹⁶ .

ومرجع ذلك أن الإسلام سعى في تأسيس علاقات المسلمين مع غيرهم على المساواة والأمان ، فلم يأذن بقتل النفوس لمجرد أنها لا تدين بالإسلام ، ولم يبح للمسلمين مقاتلة المخالفين في العقيدة ، بل أمر أتباعه بمعاملة مخالفينهم بالتي هي أحسن ومبادلتهم المنافع ¹⁷ ، وهذا واضح في قوله - تعالى - : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين) ¹⁸ .

وقوله - صلى الله عليه و سلم - : " من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين سنة " ¹⁹ .

فكان بذلك حرص الإسلام على السلم حرصا شديدا ، تبين لنا ذلك من قوله - سبحانه وتعالى - : (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات

¹⁴ - فتح الباري : ابن حجر العسقلاني ، تحقيق محب الدين الخطيب ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المعرفة ، بيروت ،

450/10 ، كتاب الأدب حديث رقم 6026 .

¹⁵ - متفق عليه .

¹⁶ - الحجرات : 9 .

¹⁷ - روح الدين الإسلامي : غيف عبد الفتاح طباره ، دار العلم للملايين ، بيروت ط 14 ، 1977 ، ص 391 .

¹⁸ - الممتحنة : 8 .

¹⁹ - فتح الباري : 6 / 269 ، كتاب الجزية و الموادة ، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم ، حديث رقم 3166 .

الشیطان إنه لكم عدو مبين (20 ، فهذه الآية وأمثالها تفتح باب السلام على مصراعيه وتتلاءم والنزعة العصرية في وضع أصول مقررة لإبطال الحرب .

ولعل أهم ما يمكن أن نلقت النظر إليه هو: أن الإسلام الحنيف كان ولا يزال حريصا على السلام أكثر من حرص أي مذهب اجتماعي قبله ²¹ ، فقد جعله متصلا بالعقيدة والعبادة والمعاملات بل وحتى الجزاء الأخروي له علاقة وطيدة بالسلام.

كما دلت على ذلك آيات القرآن الكريم ²².

ولم يحصل مثل هذا إلا لكون أن الإسلام في جوهره يحمل بذور القدرة على تقبل الحضارات والسعي معها إلى أفق التطور ، لأن من أبرز دعائمه الحرية والقوة والوحدة والمثل العليا ، وحمل أمانة الحضارة والزيادة فيها وتكريم الطوائف والأديان المختلفة والنظر إليها بعين الرحمة والرعاية ، وإقامة عملية الصهر والوحدة من أجل بناء الكيان الموحد وحماية الوطن ، واعتبار الدفاع عنه دفاع عن العرض ، مع تغليب السلام والمحبة وعدم العدوان والأخوة ، ومساواة الأجناس فلا يكون التفاضل إلا بالعمل ²³ .

رابعا : مظاهر السلم في الإسلام

من مظاهر السلم في الإسلام مساواته للذميين بالمسلمين ، وكفالاته لحريتهم في المعتقد وحق العبادة في دور عبادتهم ، مع عدم إكراه أي أحد منهم على ترك دينه ومعتقده والدخول في دين المسلمين قهرا لقوله . عز وجل . : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) ²⁴ .

فالإسلام لا يعترف بالإكراه كوسيلة من وسائل الدخول فيه بل جعل الوسيلة الأكثر شيوعا وحضارية هي وسيلة استعمال العقل وتحريك الفكر للنظر في خلق الله وملكوته وقد أكد . سبحانه . هذا المبدأ بقوله : (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم

²⁰ - البقرة : 208 .

²¹ - روح الدين الإسلامي : عبد الفتاح طبرارة ، ص 392 .

²² - انظر الأتعام : 127 ، الأعراف : 46 ، يونس : 10 ، 25 ، الرعد : 24 ، إبراهيم : 23 ، الحجر : 46 ، النحل : 32 ، الزمر : 73 ، ق : 34 ، مريم : 62 ، الفرقان : 75 ، الواقعة : 26 .

²³ - الإسلام و الثقافة العربية في مواجهة تحديات الاستعمار و شبهات التغريب : أنور الجندي ، مطبعة الرسالة ، عابدين ، القاهرة ، د ت ، ص 31 ، 32 .

²⁴ - البقرة : 256 .

جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون . قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون (25).

ومنذ عهد الخلفاء الراشدين واليهود والنصارى يؤدون عباداتهم ويطعمون شعائهم في حرية وأمان كما هو منصوص عليه في العهود التي كتبت في عهد أبي بكر وعمر . ولشدة حساسية موضوع السلم والتمسك به لم يفرض الإسلام الزكاة ولا الجهاد على غير المسلمين ، لما لهما من صبغة دينية ²⁶.

ومن مظاهر السلم والتسامح الإسلامي أنه أباح لهم ما أباحه لهم دينهم من الطعام والشراب ولو كان محرما في شرعنا ، ما دام ذلك جائزا عندهم ، بل وأباح للمسلم زيارتهم وعبادة مرضاهم تبادل البيع والشراء معهم وقد كان رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يتعامل معهم وقد ثبت في السنة أنه . عليه الصلاة والسلام . التحق بالرفيق الأعلى ودرعه مرهونة عند يهودي في المدينة ، كما كان الصحابة عليهم الرضوان يتعاملون مع أهل الكتاب ²⁷.

كما أباح لهم حرية التعامل في قضايا الزواج والطلاق وجملة الأحوال الشخصية . ورغم كون الإسلام أباح للمسلم أكل طعامهم وذبائحهم ، إلا أنه حرّم عليه أكل ذبيحة الملحد والوثني

زيادة على ما ذكرنا فإن الإسلام أجاز للمسلم أن يتزوج الكتابية العفيفة ، وبذلك فإنه أباح له أن تكون ربة بيته وشريكة حياته وأم أولاده كتابية وأن يكون أصهاره وأخوال أولاده وخالاتهم وأجدادهم وجداتهم من أهل الكتاب ²⁸ ، قال . سبحانه وتعالى . : (اليوم أحلّ لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم ، وطعامكم حلّ لهم والمحصات من المؤمنات والمحصات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن) ²⁹ .

²⁵ - يونس : 99 ، 100 ، 101 .

²⁶ - تطبيق الشريعة و حقوق الأقليات : يوسف القرضاوي ، مجلة الدوحة ، قطر ، العدد 119 ، صفر 1406 هـ ، ص

17 .

²⁷ - فقه السنة : السيد سابق ، دار الفكر ، بيروت ، ط 1 ، 1977 م ، 3 / 14 ، 15 .

²⁸ - يوسف القرضاوي : تطبيق الشريعة و حقوق الأقليات ، الدوحة ، قطر ، العدد 119 ، نوفمبر 1985 ، ص 19 .

²⁹ - المائدة : 5 .

وإمعانا منه في تقوية روابط السلم والتآخي بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب فإن الإسلام لم يمنع المسلمين أن يتعاملوا معهم ، فيسالمون من يسالمهم ويحاربون من يحاربهم بل أجاز لهم الاشتراك معهم في أحلاف تعاون معيثة كاتفاقيات تعاون اقتصادي مثلا في الميدان العلمي أو الفني أو الإداري أو غيره ، أو حتى الدخول في تحالفات أمنية معهم ، فالإسلام لا يمنع أنك تتحالف مع غير المسلمين و تتعاهد معهم³⁰ وقد طبق النبي - صلى الله عليه و سلم - ذلك في حياته فعقد العديد من العهود والتحالفات ؛ مع اليهود في المدينة ومع بعض القبائل العربية على سبيل المثال³¹ ، وفي هذا الشأن يقول الله - عز و جل - : (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم)³² .

وقال أيضا : (إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين)³³ . وهكذا صار لأهل الكتاب منزلة خاصة في اعتبار الإسلام فزيادة على إباحته لمواكلتهم ومصاهرتهم فقد أطلق عليهم اسم أهل الذمة وأهل الكتاب وهذا من باب التسامح والتكريم ، وما ذلك إلا لكون تاريخ المسلمين حافل بالصفحات الرائعة في التعامل مع غيرهم³⁴ .

لقد بلغ الإسلام شأوا بعيدا في التعامل مع أهل الكتاب كما صرح بذلك آدم متز . وهو واحد منهم . في كتابه عن الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ولعله يكون خير شاهد من أهلها عن حسن تعامل المسلمين ومسالمتهم لأهل الكتاب .

ومن أهم ما ورد عنه في هذا المجال قوله : أما في الإسلام فكان يسمح للنصارى أحيانا ببناء كنائس جديدة ، وأحيانا كانوا يمنعون حتى من إصلاح الكنائس القديمة حيث قام علي بن سليمان والي مصر من قبل هارون الرشيد بهدم الكنائس المحدثه بمصر ولكن الوالي الذي جاء بعده أذن للنصارى في بنیان الكنائس التي هدمها

³⁰ - و لكن المؤسف اليوم هو أن المسلمين اليوم صاروا يمدون أيديهم لغير المسلمين لشراء حتى قوتهم الضروري و السلاح الذين يدافعون به عن أنفسهم فأصبحوا عالة على غيرهم ، و هم الذين أمروا بالعمل و الإتقان و فيهم نزلت سورة الحديد .

³¹ - هموم المسلم المعاصر : يوسف القرضاوي ، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، د ت ، ص 60 .

³² - التوبة : 7 .

³³ - التوبة : 4 .

³⁴ - الحلول الإسلامية لمشكلات العصر : محمود علي ، الفيصل ، رمضان سنة 1404 هـ العدد 87 ، ص 69 .

علي بن سليمان فبنيت كلّها بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة ، وقالوا : هو من عمارة البلاد ، كما كان أهل الذمة يعاملون في مارستانات (مستشفيات) بغداد معاملة المسلمين ، وكان موتى المسلمين وأهل الذمة يدفنون كلّ على حدة ، ولكن يحكى أنّه في عام 319هـ / 931 م جاء إلى تكريت (محافظة في العراق) سيل كبير ، فغرق منها أربعمائة دار وغرق خلقا كثيرا من الناس ، ودفن المسلمون والنصارى مجتمعين لا يعرف بعضهم من بعض ³⁵ ، كما كانت أديرة النصارى منتشرة في كل أجزاء بغداد حتى كادت لا تخلو منها ناحية .

ولما كان الشرع الإسلامي خاصا بالمسلمين فقد خلّت الدولة الإسلامية بين أهل الملل الأخرى وبين محاكمهم الخاصة بهم .. إلى أن يقول : أما في الأندلس فعندنا من مصدر جدير بالثقة أن النصارى كانوا يفصلون في خصوماتهم بأنفسهم ،... وكان أهل الذمة بحكم ما كانوا يتمتعون به من تسامح المسلمين معهم ومن حمايتهم لهم ، يدفعون الجزية كل واحد منهم بحسب قدرته ³⁶ .

ولاشك أن هذا يدل على أن الإسلام لم يجبرهم في أي وقت من الأوقات على ترك أمر من الأمور التي يرون أنها واجبة في دينهم ، أو فعل أي أمر يرون فيه الحرمة عندهم ، أو اعتناق ما يخالف عقيدتهم عن إكراه .

وهكذا تبين لنا أن السلم هو الأصل في الإسلام أما الحرب والقتال والعنف فهي أمور طارئة إلا في إطارها الضيق والمشروع الذي شرعت من أجله كمجال الدفاع عن العقيدة والنفس والعرض والمال والأرض ³⁷ ، لا يرفض الدفاع عنها إلا من لا عقل له ولا دين ، ومع ذلك فلا تناسي الأخذ في الحسبان بقوله تعالى : (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) ³⁸ ، وقوله . عز وجل . : (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) ³⁹

³⁵ - و قد ذكر هذه الحادثة ابن الأثير في الكامل في التاريخ : 8 / 174 .

³⁶ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : آدم متر، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريذة المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986 م ، ص 84 ، 85 ، 86 ، 88 .

³⁷ - الجهاد في الإسلام : بسيوني قنعان ، مجلة الأصالة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية بالجزائر ، العدد 89 / 90 السنة 10 ، جانفي . فيفري 1981 م ، ص 50 .

³⁸ - المائدة : 87 .

³⁹ - البقرة : 190 .

وحتى القتال المشروع فلا بد أن تكون أسبابه واضحة ووجيهة كما حدّدها

الشرع

بأن يكون قتالا في سبيل الله أولا ، و في سبيل المستضعفين الذين لم يجدوا نصيرا لهم ثانيا ⁴⁰ ، من أجل ذلك كان الجهاد الإسلامي خارج حدود الجزيرة العربية قد سبقه دعوة النبي . صلى الله عليه وسلم . للشعوب المجاورة للعرب للدخول في الإسلام ، وتمثلت هذه الدعوة في رسائله . صلى الله عليه وسلم . إلى الملوك والأمراء في تلك الفترة .

أما إذا كان قتال التوسع والعدوان على حساب الغير ، واستغلال القوي للضعيف فقد منعه الشارع الحكيم ، حيث قال . سبحانه وتعالى . : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين) ⁴¹ ، كما منع الحرب التي يكون هدفها التخريب والتدمير واعتبره من الإفساد في الأرض فقال . جلّ شأنه . : (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) ⁴² ، فذلك شأن الغادرين أما المسلمين فإن سيرة الفتح الإسلامي وأخبار قاداته خير دليل هدفه السامي عكس الحروب الصليبية فضلا عن انعدام روح التسامح فيها فقد كانت تنطوي على أكبر قدر من الغدر والعدوان وروح التدمير لشفاء الغليل ⁴³ .

فليست الغاية من النصر التوسع في الملك كما تفعل الدول المستعمرة ، ولا وضع اليد على موارد الثروات ؛ ولا العلو والاستكبار في الأرض لكي يكون جنس أعلى من جنس ، ولكن المؤمنين إن انتصروا : أقاموا الصلاة ، أي أنهم توجهوا إلى السمو الروحي من عبادة الله وتطهير أنفسهم ، وآتوا الزكاة ، أي أنهم حققوا العدالة الاجتماعية من إعطاء المحتاجين حقهم في هذه الحياة . وأمروا بالمعروف أي أشاعوا الخير والحق بين الناس ، ونهوا عن المنكر أي حاربوا الشر والفساد واستأصلوهما من المجتمع ⁴⁴ .

وزيادة في الاحتياط وحتى لا تزهق الأرواح دون مبرر أمر الله . سبحانه وتعالى . بالجنوح إلى السلم حتى ولو كان العدو مخادعا وماكرا فقال . تعالى . : (وإن

⁴⁰ - و هذا مصداقا لقوله تعالى : (و ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله و المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان

الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) النساء : 75 .

⁴¹ - القصص : 83 .

⁴² - الأعراف : 56 .

⁴³ - أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي : صابر طعيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، ط 1 ، 1984 م ، ص 16 .

⁴⁴ - روح الدين الإسلامي : عبد الفتاح طباره ، ص 393 .

جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ، وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله)⁴⁵ ، وإننا نجد في خطوة متقدمة نحو السلام كيف أن القرآن الكريم لم يجعل خوفنا من حذر العدو وخداعه ذريعة لرفض السلام فقال . سبحانه وتعالى : (وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين)⁴⁶ .

والملاحظ عبر تاريخ الإسلام الطويل أنه لم يدخل أي معركة إلا وهو مضطر لخوضها ، ولم يحارب إلا دفاعا عن النفس⁴⁷ ، لأن الحرب في نظره هي من أبغض الحلال وهي شر تجعله الضرورة في بعض الأحيان واجبا لا مفر منه كما قال أحمد شوقي مخاطبا الرسول . صلى الله عليه وسلم . بقوله : الحرب في حق لديك شريعة ومن السموم الناقعات دواء وخلاصة الأمر فإن وقائع التاريخ الإسلامي ومختلف وثائق الحضارة الإسلامية تشهد جميعها بالحقائق التالية : . أن العلاقات الدولية في نظر الإسلام تقوم على السلم و الوفاء والاعتراف بكرامة الأمم .

. أن الفتوح أو الحروب الإسلامية كانت دفاعا عن النفس وردا للعدوان ، أو حماية للدعوة وتأميناً لها ممن يصد عنها ، كما كانت بركة وخيرا على البلاد المفتوحة .

. أن هذه الفتوح كانت حركة حضارية إنسانية لا تعرف التفرقة بين الأجناس ولم تمارس التدمير والتخريب والإذلال كالذي مارسته حركات المغول والجرمان قديما وحركات الاستعمار الغربي حديثا .

. أن قادة جيوش المسلمين كان همهم الأول إسلام أهالي البلاد المفتوحة أكثر من حصولهم على الجزية والخراج ، أو الرغبة في قتلهم والتتكيل بهم كما تفعل جيوش المستعمرين اليوم.

- أن ما كانوا يأخذونه من جزية أو خراج من أهل الكتاب ، إنما كان لحمايتهم وإنفاقه في سبيل راحتهم وأمنهم وفي المرافق العامة التي ينتفعون بها ، تماما

⁴⁵ - الأنفال : 61 ، 62 .

⁴⁶ - الأنفال : 62 .

⁴⁷ - الجهاد في القرآن : البسيوني قنعان ، مجلة الأصالة العدد 89 / 90 السنة 10 ، جانفي ، فيفري 1981 م ، ص

كما كانت تؤخذ الزكاة من المسلمين لتحقيق الأمن الداخلي والحماية الخارجية ولتحقيق التكافل الاجتماعي⁴⁸ .

ومع ذلك فقد أمر رسول الله . صلى الله عليه وسلم . بالرفق بأهل الكتاب وعدم تكليفهم ما لا طاقة لهم به⁴⁹ .

وقد سجلت كتب التاريخ كيف أن أهل الكتاب لما قاموا بالدفاع عن أنفسهم أسقطت عنهم الجزية وكان ذلك على عهد عمر بن الخطاب . رضي الله عنه .⁵⁰

ولعل من أهم ما يمكن الإشارة إليه في هذه العجالة هو أن مختلف المصادر التاريخية تحدثنا بكامل الوضوح على أن الفترة الذهبية لانتشار الإسلام هي فترة السلم الذي تلا صلح الحديبية بين قريش والمسلمين ، وكانت هذه الفترة مدتها سنتان ؛ وأكد المؤرخون أن من دخل الإسلام في خلال هاتين السنتين أكثر ممن دخلوه في المدة التي تقرب من عشرين عاما منذ ظهور الإسلام حتى ذلك الصلح⁵¹ وهذا يؤكد لنا على أن انتشار الإسلام تبع السلام ولم يتبع الحرب مطلقا، وأن مقولة انتشاره بقوة السيف لا أساس لها من كل الوجوه .

48 - مفتريات على الإسلام : أحمد محمد جمال ، مكتبة رحاب ، الجزائر ، ط 5 ، 1987 م ، ص 59 ، و كذلك مقارنة الأديان " الإسلام " لأحمد شلبي ، الصفحات 179 ، 204 ، 205 ، 206 .

49 - فقه السنة : السيد سابق ، 3 / 70 .

50 - أما اليوم فإن الإسلام لا يلزم أهل الكتاب بدفع الجزية لأنهم يدفعون الضرائب التي يدفعها المسلمون و يحملون السلاح في الجيوش مع المسلمين ، للمزيد انظر مقارنة الأديان "الإسلام" لأحمد شلبي ، ص 179 .

51 - مقارنة الأديان ، الإسلام : أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ط 8 ، 1985 م ، ص 200 .